يتكون هذا الكتاب من ستة عشر فصلًا، تتوزع على ثلاثة أجزاء، يتناول كل جزء حقبة زمنية. والفصل الأول هو مقدمة المحرر للكتاب كله. ويتناول الجزء الأول «العصور الوسطى وعصر النهضة»، ويفحص الفصل الثاني نقد ابن رشد لنظرية ابن سينا للتولد التلقائي للبشر، وأثر هذه النظرية في الجدل الدائر حولها في عصر النهضة، ويدرس الفصل الثالث طبعة الجونتا للأعمال الكاملة لأرسطو وابن رشد، وتتناول باقي فصول هذا الجزء موقف أصحاب النزعة الإنسانية من ابن رشد والرشدية (الفصل الرابع) وأعلام الرشدية في عصر النهضة، مثل فيتشنيو (الفصل الخامس)، وأغوسطينو نيفو (الفصلان السادس والسابع)، وجيرولامو كاردانو (الفصل الثامن)، ويتناول الفصل التاسع موقف فلاسفة عصر النهضة من دور المخيلة في المعرفة عند ابن رشد.

وأما الجزء الثاني فهو عن بواكير العصر الحديث، ويشمل فصولًا عن أثر ابن رشد في أفلاطونيي كيمبردج، سواء اتفقوا معه أو عارضوه (الفصل العاشر)، ويتناول الفصل الحادي عشر الفيلسوف اليهودي إليشع دل مديجو، مترجم بعض مؤلفات ابن رشد من العبرية إلى اللاتينية، وصاحب الأثر الكبير في سبينوزا عن طريق كتابه «فحص الدين» الذي يعد إعادة صياغة لكتاب «فصل المقال» لابن رشد، وكان سبينوزا يحتفظ في مكتبته بنسخة من «فحص الدين». ويتتبع الفصل الثاني عشر حضور ابن رشد في كتب تاريخ الفلسفة في القرن الثامن عشر. ويتناول الفصل الثالث عشر أثرًا غير مباشر لابن رشد في نظرية المعرفة عند كانط، وموقف فلاسفة التنوير الألماني من ابن رشد، واتهام هيردر لكانط بالرشدية وردود كانط عليه.

والجزء الثالث حول «الرشدية والحداثة»، ويشمل الفصل الرابع عشر نقاشًا حول رينان وتعامله مع ابن رشد والرشدية في كتابه الشهير، ويفحص، في دقةٍ، نظرته لابن رشد وينقدها؛ والفصل الخامس عشر يتناول ليو شتراوس، وهو من أهم المفكرين المعاصرين الذين أبرزوا دور فلاسفة الإسلام في الفكر الإنساني ولفتوا انتباه الغربيين إلى أهمية دراستهم وخاصة الفارابي وابن رشد، ويتبنى الفصل نظرة نقدية لأعمال شتراوس؛ ويطرح الفصل السادس عشر سؤالًا طريفًا، «هل كان ابن رشد رشديًا؟»، بمعنى، هل كان ابن رشد يتبنى بالفعل الأفكار التي نسبها إليه الرشديون في العصور الوسطى وعصر النهضة؟ وهل كانت الرشدية نابعة مباشرة من أعمال ابن رشد وتفسيرًا صحيحًا لها؟ وهل فهمت الرشدية اللاتينية ابن رشد من ترجماته اللاتينية؟ أم أنها خلقت صورة خاصة بها لابن رشد لا تتطابق تمامًا مع نصوصه الأصلية؟

****

ومن مميزات الكتاب، استعانة المؤلفين بمخطوطات غير منشورة لعلماء رشديين أو مرتبطين بالرشدية بوجه عام، وبطبعات قديمة من القرنين الخامس عشر والسادس عشر، وهي مصادر مهمة لم يُعَد طبعها في نشرات حديثة حتى الآن، ولذلك يصعب الحصول عليها، لوجودها موزعة على مكتبات منتشرة في كل أوروبا.

والمعروف أن الكثير من أعمال ابن رشد مفقود في أصله العربي، وليس موجودًا إلا في ترجمات لاتينية أو عبرية؛ هذه الترجمات كانت متاحة لمؤلفي هذا الكتاب، ودرسوها جيدًا؛ وكانت هذه الترجمات هي التي شكلت تيارات الرشدية في أوروبا في العصور الوسطى وعصر النهضة؛ إذ درس المؤلفون «ابن رشد اللاتيني» الذي قرأه اللاتين باللاتينية. إن تراث ابن رشد المفقود لدينا موجود عندهم، فهم يجيدون اللاتينية والعبرية، ولديهم ما ليس لدينا من هذا التراث المفقود في لغتنا. وإننا على أمل في استعادة هذا التراث المفقود بترجمته إلى العربية، وهي مهمة تاريخية ضخمة ونبيلة، تتطلب جهودًا مؤسسية وعملًا جماعيًا ننتظره.

ولا يسعني في نهاية هذه المقدمة إلا أن أتوجه بخالص الشكر والتقدير للصديق العزيز الباحث الأستاذ إسلام سعد، الذي راجع الترجمة كلها كلمة كلمة، بمنتهى الدقة

والاحترافية، وصحح العديد من الأخطاء، واقترح عليَّ إعادة صياغة بعض العبارات الغامضة، والعديد من الحذف لكلمات والإضافة لكلمات أخرى، مما زاد من سلامة ووضوح العديد من العبارات والجمل. فكان بمثابة المرآة التي أرى فيها ترجمتي، بعيوبها وميزاتها، قبل الانتهاء التام منها وتسليمها. فله مني كل العرفان. كما أتوجه بخالص الشكر والتقدير للسيد الأستاذ ياسر المطرفي، مدير مركز نماء، لحرصه على رفعة المركز والحفاظ على تميزه وريادته في نشر الأعمال المتميزة ترجمةً وتأليفًا، وللسيد الأستاذ محمد عمران، مدير المركز بمصر، لمتابعته الدائمة وعنايته بالعمل واهتمامه بكل التفاصيل.

أشرف منصور

الإسكندرية 16 أغسطس 2024